منارات
manarat
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
فخري كريم
رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
www.almadasupplements.com
العدد (5273) السنة العشرون - الاربعاء (28) أيلول 2022

هيلاري مانتل

هيلاري مانتل: لماذا أصبحتُ روائية تاريخية؟

ترجمة: أحمد لطفي أمان

«هل هذه القصّة حقيقية؟». القرّاء، لا محالة، يسألون. في أولى محاضراتها، من سلسلة محاضرات «ريث-Reith» التي تقدمها هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي»، تستكشف المؤلِفة الحائزة، مرتين، على جائزة «مان بوكر» العلاقة المعقّدة بين التاريخ، والحقيقة، والخيال.

يقول القديس أوغسطين: الموتى غير مرئيين. إنهم ليسوا غائبين. لستَ بحاجة لأن تؤمن بالأشباح حتى ترى أن هذا صحيح. إننا نحمل جينات أسلافنا وثقافاتهم، وما نعتقده بحقهم يشكّل الطريقة التي نرى بها أنفسنا، والطريقة التي نستوعب بها زماننا ومكاننا. أهذه عصور طيّبة، أم عصور سيئة، أم عصور شائقة؟ نعتمد على التاريخ ليخبرنا. التاريخ والعلم، كذلك، يساعدانا على أن نضع حيواتنا الصغيرة في سياق، لكن إن أردنا لقاء الموتى، وهم في هيئة الأحياء، فإننا نتجه إلى الفنّ. هناك قصيدة لـ «و. هـ. أودن» تدعى «بينما تمشيتُ ذات مساء»:

تدقُّ كتلةُ الجليد بالدولاب،
تتنهدُ الصحراءُ في السرير،
والشرخُ في فنجان الشاي يشقُّ
ممرّاً نحو أرض الموتى

هذه المحاضرة غرضها السؤال عمّا إن كان هذا الممر هو شارعٌ ذو اتجاهين. إننا، في المخيلة نطارد الموتى صارخين: «عودوا!». قد تشتبه الأصوات التي نسمعها بصدى لصوتنا، وتشتبه الحركة التي نراها بظلنا، لكننا نستشعر قوةً حيويةً، ما يزال الموتى يمتلكوها. إن لديهم شيئاً ليخبروننا به، شيئاً نحتاج لفهمه. مستخدمين الأدب والدراما، نحاول اكتساب ذلك الفهم.

في هذه المحاضرات، آمل أن أبيّن أنه توجد أساليب نستطيع استخدامها. أنا لا أدعي أنه يمكننا سماع الماضي أو رؤيته، إنما أقول: بإمكاننا الإنصات والنظر. هَمّي- بصفتي كاتبة- هو الذاكرة، الذاكرة الفردية والجماعية: الأموات المرّقون بتفنيد ادعاءاتهم. عائلتي تاريخها شحيح. ذات مرّة، قال لي واحدٌ من الجمهور: «أنا آت من سلالة طويلة من النَكرات». ففكرت: نعم، وأنا أيضاً. إنني لا أستطيع العودة إلى أبعد من أمّ جدتي، من ناحية الأم. لكني أود أن أعرّفكم بها، كمثال، لأنها اجتازت الزمن من نهاية القرن التاسع عشر، كي تكوّن وعيي بذاتي، في هذه اللحظة من القرن الحادي والعشرين، حتى النكرات يمكنهم فعل ذلك.

كانت أم جدتي ابنة لباتريك، وزوجةً لباتريك، وأُمّاً لباتريك. لا جوائز لأجل تخمين أصولها، إذاً(1). كان اسمها كاثرين أوشيه، وحياتها المبكرة أمضتها في بورتلو-Portlaw، قرية قائمة حول مطحن قرب «ووترفورد- Waterford» في جنوب أيرلندا. كانت بورتلو مكاناً اصطناعيّاً، أُنشئ لغرض من قبل عائلة تتبع جمعية الأصدقاء الدينية(2)، وتدعى عائلة مالكولمسون، أفرادها يعملون في الشحن والذرة والقطن والكتان. افتُتح المطحن عام 1826. في وقت من الأوقات، كانت بورتلو نشطة جدّاً، حتى أنها استقدمت عمالة من لندن.

كان آل مالكولمسون رأسماليين أخلاقيين، ومولعين بالتحكّم في الحياة الاجتماعية. أعدّت قريتهم وفق تخطيط كان مثاليّاً للمراقبة، فبُنيت بحيث يمكن لشرطي واحد متمركز في الميدان، أن يرصد الشوارع الخمسة جميعها. أسس آل مالكولمسون مجتمع ادّخار(3)، ومجتمع إمساك عن الخمر، وصرفوا لعمالهم الأجور، جزئيّاً، في هيئة إيصالات من ورق مقوى، قابلة للاستبدال عند متجر الشركة. حين لمحت جريدة محلية إلى أن هذا نوعٌ من العبودية، فقاضاها آل مالكولمسون، وربحوا.

ما إن انقضى القرن التاسع عشر، حتى تراجعت المنسوجات، وخسر آل مالكولمسون أموالهم. وفي عام 1904، أغلق المطحن؛ الوقت الذي- بحلوله- كانت عائلتي، مثل كثيرين آخرين، قد بدأت هجرةً متثاقلةً، على مراحل.

اثنان من إخوة كاثرين رحلا إلى أميركا، وعلى الطريقة العريقة لم يأتِ منهما نبأ، بعد ذلك، مطلقاً. كاثرين كانت شابة متزوّجة، عندما جاءت إلى إنجلترا، إلى قرية أخرى تقوم حول مطحن، هي «هادفيلد – Hadfield». كانت مثل بورتلو، خضراء رطبة ومظلّلة بالتلال. بقدر ما أعرف، لم تغادرها أبداً؛ لذا لا بدّ من أنها تساءلت: هل العالم كلّه على هذه الشاكلة؟.

بيتها الأوّل كان في شارع يدعى «ووترسايد – Waterside»، لسنوات عديدة، مسرحاً لمعارك طقوسية في ليالي الجمعات، بين عصابات المحلّيين والوافدين. إنني لا أعرف أي شيء عن حياة كاثرين، تقريباً. أظن أنه عندما يكون لدى امرأة عشرة أطفال، فإنها تقضي على احتفاظها بحياة خاصة. صورة واحدة تبقى لها. تقف عند عتبة منزل مرصوص بجوار غيره، ومبنيّ بالحجارة، تغطيها تنورتها من الخصر إلى الكاحل، شالها الممزق يغطي البقية. لا أستطيع أن أقرأ وجهها أو أن أجد له صلةً بوجهي.

أتصور أنني أعرف أين التُقطت الصورة. كان هناك صف من المنازل المطلة على ووترسايد، ظهرها ضمن أسوار المطحن. في وقت ما هُدمت المنازل، لكن توجَب بقاء الواجهات قائمة؛ لأنّها كانت جزءاً من جدار المطحن. سُدّت النوافذ والأبواب بقوالب من الحجارة؛ وبمرور الوقت، لأكون على قيد الحياة وأراها، كانت هذه الحجارة الجديدة بلون المطحن نفسه: أسود. لكن، كان بإمكانك أن ترى أين كانت الأبواب والنوافذ. عندما كنت طفلة، صعقتني تلك المنازل كنذير شؤم: صورة للخداع والفقدان.

بابُ منزل ما ينبغي أن يؤدّي إلى بيت. لكن، وراء هذا الباب كان الحيّز العام لباحة المطحن. عن طريق دراسة التاريخ- لنقل تجربة الهجرة، أو تجارة المنسوجات- يمكنني أن أحدد مكان كاثرين على المستوى العام، لكني عاجزة عن الوصول إلى أفكارها. أمّ جدتي لم تكن تستطيع القراءة أو الكتابة. بقي قولٌ من أقوالها: «جُعل النهار للأحياء، وجُعل الليل للأموات».

أفترض أن هذا ما كانت تقوله لتحافظ على الأطفال العشرة منضبطين، بعد حلول الظلام. بعد سنواتها الأولى، حسبما أفهم، لم تعد كاثرين تعمل في المطحن، لكن بلغني أنه كان لديها دور محدد في محيطها: كانت المرأة التي تجهّز الموتى قبل الدفن.

لمَ نفعل هذا، أو نعيّن أحداً لفعله؟ لماذا نغسل وجوههم ونلبسهم ثيابا مألوفة؟ إننا نفعل هذا كرمى للأحياء. حتى إن لم يكن لدينا معتقد، فلا نزال نؤمن بأن من هو إنسان يجب أن يظل يُعامل كإنسان. لاحظ السخط إذا دُنّس جثمان، وعذاب أولئك الذين لا أجساد بحوزتهم ليدفنوها. إنه- تقريباً- تعريف أن نكون بشراً: نحن الحيوانات التي تقيم الحداد. واحد من أهوال الإبادة العنصرية هو المقابر الجماعية، مراكمة الإنسان المحبّ الحيّ مع شيء مشاع ملتبس مجرّد من الاسم.

التأبين عملية حيوية، وكثيراً ما تكون محل جدال. عندما نخلّد ذكرى الأموات، إنما نكون تواقين، أحياناً، للحقيقة، وأحياناً لوهم مُعَزٍّ. نحن نتذكر بطريقة فردية، بدعوى الأسى والحاجّة. نتذكر، كمجتمع، بأجندة سياسية؛ ننقب في الماضي عن الأساطير المؤسّسة لعشيرتنا، لأمتنا، ونرسخها بالفخر أو نرسخها بالمظلومية، لكن قلّما نرسخها على حقائق فاترة.

إن الأمم تُبنى على نُسخ طموحة من أصولها: قصص من نوع أو آخر، كان أسلافنا فيها عمالقة. هكذا، نعيش في العالم: رومانسيين. يوماً ما، كانت الرومانسية، في معارف أرستقراطيين وهيئة سرّية، هوى أن تكون جزءاً من صفوة. الآن، الرومانسيّة في الحرمان، والاغتراب، في المسافة الممتدة بين هناك وهنا: أو- لنقل- بين أم جدتي وأينما أكون أنا، اليوم. إن للحقائق رواجاً أقل، وتأثيراً أقلّ على ما نكونه وما نفعله، ممّا لدى الخيالات التي نصنعها لأنفسنا.

حالما نموت، نصير ضمن عالم الخيال. فقط، اطلبْ من فردَي عائلة، مختلفين، أن يحكيا لك عن أحد توفي مؤخّراً، وستفهِم ما أقصد. ما إن نفقد قدرة التعبير عن أنفسنا، حتى نؤوّل. وحين نتذكّر- مثلما يخبرنا كثيراً علماء النفس- أننا لا نعيد إنتاج الماضي، بل نبتكره. بالطبع، قد تقول: بعض الحقائق غير قابلة للفصال، وقائع التاريخ ترشدنا، والوثائق- بالفعل- تأتي ببعض الوقائع والشخصيات التي لا تقبل الخلاف. لكن المؤرّخ «باتريك كولينسون – Patrick Collinson» كتب: «إنه لمن الممكن أن يصل مؤرّخون أكفاء إلى استنتاجات مختلفة جذريّاً، استناداً إلى الدليل نفسه. لأن، 99 % من الأدلة، وعلى رأسها الكلام غير المسجّل، ليست متاحة لنا، بطبيعة الحال».

الأدلة، دائماً، جزئية. الوقائع لا تمثّل الحقيقة، وإن كانت جزءاً منها؛ فالمعلومات ليست هي المَعرفة. والتاريخ ليس الماضي؛ إنه النمط الذي طوروناه لتنظيم جهلنا بالماضي. إنه سجلّ ما تبقّى مسجّلاً. إنه مخطّط المواقع المتخَذة في أثناء الرقص، عندما نوقف الرقصة لندوّنهم. إنه ما يبقى في الغربال حين تكون قد نفذت، خلاله، القرون: القليل من الأحجار، قصاصات من كتابة، قصاصات قماش. إنه ليس «الماضي» إلّا إنْ كانت شهادة الميلاد بمثابة ميلاد، أو أن نَصّاً هو بمنزلة أداء، أو أن خريطة هي بمنزلة رحلة. إنه التضاعف لأدلة شهود متحيزين وغير معصومين من الخطأ، مخلوطة مع سرديات ناقصة، لأفعال لم تُفهم كليّاً من قبل مَن قاموا بها. إنه لا يعدو أن يكون أقصى ما بوسعنا، وفي كثير من الأحيان نعجز عن الوفاء بذلك.

المؤرّخون، أحياناً، مدقّقون وواعون بأنفسهم، أحياناً مهملون أو متحيّزون. مع هذا، في كلتا الحالتين، لا نكاد

نتبين إحداهما من الأخرى، إننا نتنازل لهم عن المسؤولية الأخلاقية. همّ لا يختلقون عن عمد، ونحن نصدّق أنهم يحاولون تبليغ الحقيقة، لكن الروائيين التاريخيين يواجهون أسئلة- كما هو متوقع- عمّا إذا كان عملهم شرعيّاً. ما من نوع آخر من الكتّاب عليه أن يوضح حرفته مراراً، هكذا، فالقارئ يسأل: أهذه القصّة حقيقية؟.

ذلك يبدو سؤالاً بسيطاً، لكن يجب علينا أن نكشف عنه غطاءه. في كثير من الأحيان، يسأل القارئ: هل بإمكاني أن أتأكد من هذا في كتاب تاريخ؟ هل يتوافق مع سرديات أخرى؟ هل كان سيقرّه معلمي القديم للتاريخ؟.

قد تكون الفكرة المحرّكة للروائي هي تفكيك النسخة السائدة، لكن القرّاء مخلصون، بشكل يثير الشفقة، لأوّل تاريخ تعلّموه، وإنْ أنت طعنتَ فيه، فكأنك تسلب منهم طفولتهم. بالنسبة إلى شخص ينشد السلامة والصلاحية الرسمية، فإن التاريخ هو المكان الخطأ لإعمال النظر. أي تاريخ ذي شأن يكون في حالة دائمة من المساءلة الذاتية، تماماً، مثلما هو أي أدب ذي شأن. القارئ، إذا سأل الكاتب: «هل لديك أدلة تدعم قصتك؟»، ينبغي أن يكون الجواب: نعم. لكنك تأمل أن القارئ سيكون متفطناً للأنواع العديدة الموجودة من الأدلة، وكيف يمكن استخدامها.

من غير الممكن وضع قاعدة أو معيار للممارسة القويمة، لأنه توجد أنواع عديدة للغاية من الرواية التاريخية. لدى البعض الطابع الوثائقي، آخرون أقرب إلى الخيال. لا يُشغل كل كاتب نفسَه بالأشخاص الحقيقيين والأحداث الحقيقية. في سلسلة رواياتي الحالية عن أسرة تيودور(4)، أتتبّع- بدقة- السجل التاريخي حتى يتسنى لي تقديم العالم الخارجي بأمانة، رغم هذا، أخبر قارئي بالشائعات، وألمح إلى أنّ الأخبار، أحياناً، تكون مفبركة.

لكن انشغالي الأساسي يكون بالدراما الداخلية في حيوات شخصياتي. من التاريخ، أعرف ماذا هم فاعلون، لكن لا يمكنني- بأي تأكد- معرفة ما يفكرون به أو يشعرون. أية رواية، ما إن تنتبه منها حتى تعجز عن فصل الواقع عن الخيال. إنها أشبهَ بمحاولة إرجاع المايونيز للزيت وصفار بيض. إن أردتَ أن تعرف كيف أنشئتْ، سطراً بسطر، فإن ما أخشاه هو أن يكون أملك الوحيد أن تسأل المؤلف.

لهذا السبب، بعض القراء مرتابون- بشدة- من الرواية التاريخية. يقولون: إنها، بطبيعتها، مضللة. لكنني أزعم أن القارئ يعلم طبيعة العقد. عندما تختار رواية لتحكي لك عن الماضي، فإنك تضع، بين قوسين، السرديات التاريخية، التي قد يتوافق بعضها مع بعض أو لا يتوافق، وتطلب، عازماً، تأويلاً شخصيّاً. أنت لا تشتري مستنسَخاً، ولا حتى نسخة مصوّرة أمينة(5). أنت تشتري لوحة فيها ضربات باقية من الفرشاة. للمؤرّخ، يقول القارئ: «خذ هذه الوثيقة، القطعة، الشخص. أخبرني ماذا يعنون؟». للروائي، يقول: «الآن، أخبرني ماذا يعنون أيضاً؟».

تعرف الروائية موقعها. إنها تمضي في عملها عند نقطة تلاقي ما هو قائم بما هو حلم، عند تلاقي السياسة بعلم النفس، وحيثما يلتقي الخاص بالعام. إنني أقف بصحبة أم جدتي عند العتبة. أقتحم السور الزائف. على الجانب الآخر، أربط قصتي الشخصية بالقصّة الجماعية. أتحرك خلال الحيّز المنزلي، وأخرج نحو الحيز التجاري الجامح لباحة المطحن: السوق، ومحل تداول النميمة، والشارع، ومبنى البرلمان.

بدأتُ كتابة الروايات في السبعينيات، عند النقطة التي اكتشفت فيها- للمفارقة- أنني أريد أن أكون مؤرّخة. فكرت أنني بسبب حماقتي، وأنا في عمر السادسة عشرة، لم أكن أعرف ما أكتبه في استمارة تقديمي للجامعة، فقد ضيعت فرصتي؛ لذلك إن كنت أريد العمل مع الماضي، يتعيّن علي أن أصير روائية، وهو الأمر الذي يمكن، بالطبع، لأي أحمق، أن يفعله.

خلال السنة الأولى أو السنتين الأوليَيْن، تعرضت لشعور بالدونية الحضارية. شعرت بأنني- أخلاقيّاً- أدنى منَ المؤرخين، وأدنى- فنيّاً- من الروائيين الحقيقيين الذين بوسعهم نسج الحبكات، في حين كان عليّ، فقط، أن أعرف ماذا حدث.

في تلك الأيام، لم تكن الرواية التاريخية محترمةً أو جديرة بالاحترام. كانت تعني رومانسية تاريخية. لو قرأتَ رواية عبقرية كرواية «أنا، كلوديوس – I، Claudius»، التي تدور أحداثها في روما القديمة، فإنك لا تصمها بالنوع الأدبي؛ تنظر إليها باعتبارها أدباً فحسب؛ لذا كنتُ أخجل من تسمية ما أفعله. على أي حال، لقد بدأت. أردت أن أجد رواية تستهويني عن الثورة الفرنسية. فلم أجد، فشرعت بكتابة واحدة.

لم أكن في سعي لنتائج سريعة. كنت مستعدة للنظر في جميع المواد التي يمكنني العثور عليها، حتى مع علمي أن ذلك قد يستغرق سنوات. لكن الذي لم أكن مستعدة له، كان الفجوات، والمحو، ولحظات الصمت حيث كان ينبغي وجود أدلة.

هذه اللحظات من الصمت والمحو جعلت مني روائية، لكني، في أول الأمر، وجدتها- ببساطة- مربكة. لم أحب أن أختلق أشياء؛ ما سبّب لي نقطة ضعف. في النهاية، هرعت نحو وضع انتقالي أرضائي. لسوف أختلق لرجل عذاباته الداخلية، لكن ليس، مثلاً، لون ورق الحائط في حجرة الرسم الخاصة به؛ لأن أفكاره يمكن، فقط، تخمينها، حتى إن كان مدوّناً لليوميات أو كاتب اعترافات، فقد يكون ممن يُخضعون أنفسهم للرقابة الذاتية. أمّا ورق الحائط، فشخصٌ ما، في مكان ما، قد يعلم الشكل واللون، وقد أعرف إذا واصلتُ السعيَ إليه. وحينها، عندما يعود ثائري إلى بيته مرهقاً، بعد مناظرة دامت 24 ساعة في المؤتمر الوطني(6)، ويرمي بحقيبته في أحد الأركان، سيكون بوسعي أن أدير النظر في الحجرة، من خلال عينيه. حينما صدر كتابي، في نهاية المطاف، بعد سنوات عديدة، إذا بناقد خبيث- وكان يُلزمني حدودي بوصفي امرأة تكتب عَن رجال يخوضون في شؤون سياسية جادة – يشتكي أن في الكتاب الكثيرَ عن ورق الحائط. صدقوني، كنت أعتقد- بكلّ أمانة- أنه أقل كثيراً مما يكفي.

في الوقت المناسب، فهمت أمراً، هو أنك لا تصير روائيّاً لكي تغزل أكاذيبَ مسلية، إنك تصير روائيّاً لتتمكن من قول الحقيقة. أنا أبدأ في ممارسة حرفتي عند النقطة التي تنهار فيها القناعات تجاه الرواية الرسمية. إن بعض القصص تحتمل أن يعاد حكيها. إنها تفرض إعادة حكيها فرضاً. خذ، مثلاً، الأيام الأخيرة في حياة آن بولين – Anne Boleyn: تستطيع أن تحكي تلك القصّة تم تحكيها مرات عديدة. أن تُخضعها لمئات التعديلات، ولكن يظل بادياً أن هناك قطعة مفقودة من الأحجية. تقول: «أنا واثقٌ من أنني أستطيع أن أبلي بلاءً أفضل، المرة القادمة»، يم تبدأ من جديد. تنظر إلى النتيجة، فتدرك، مرةً أخرى، أنه بينما كنتَ توثق وثاق جزءٍ من الحقيقة، فرّ جزءٌ آخر إلى البرّية.

مع هذا، تطلّب الأمر مني وقتاً كي أصل إلى أسرة تيودور. خلال غالبية مسيرتي المهنية، كتبتُ عن أناس غريبين وهامشيين: وسطاء روحيين، أو متدينين، أوَ من ذوي الاحتياجات الخاصة، ونزلاء المصحّات والإصلاحيات ودور الرعاية، أو أخصائيين اجتماعيين، أو فرنسيين. قرّائي كانوا عُصبةً صغيرةً ومنتقاة، إلى أن قررت التقدم نحو منتصف ساحة التاريخ الإنجليزي، وغرستُ راية. الحقبة التيودورية، بالنسبة إلى الباحثين، لا تزال بؤرةً لجدل محتدم، أمّا بالنسبة إلى العامّة فهي تسلية سائغة. وهناك رفوف كانت ملأى بروايات عن هنري الثامن وزوجاته. لكن لا يمكن لروائي أن يقاوم زاوية غير مستكشَفة. غيْرُ زاوية الرؤية، وستكون القصّة جديدة. من بين كُتاب الأدب القصصي، لم ينازعني أحدٌ على هذه المنطقة. الكل كان مشغولاً، يزرع لنفسه مكانةً كدخيل.

سنوات عديدة، ونحن مهمومون بنزع المركزية عن «سرديتنا الكبرى grand narrative». قد أصبحنا عاطفيين حيال المقطوعين من شجرة، المكسورين، أولئك الذين بلا صوت، ومتشككين حيال الرجال العظماء، مستخفين بالأبطال. هكذا، تطوّر تقصّينا للدراما البشرية: بدايةً تذهب الآلهة، ثم يذهب الأبطال، ثم إذا بنا متروكون صحبة أنفسنا المدنّسة المفضوحة.

فيما تكتسب معرفةً وتقنيةً بصفتك كاتباً.. فيما تكتسب وعياً ذاتيّاً ضروريّاً بخصوص حرفتك، تفقد بعضاً من متانة علاقتك بالماضي النابعة من الطفولة. حين كنت طفلة، كان الماضي يبدو لي أنه قريب، وكان يبدو لي أنه أمر شخصي. تحت كل تاريخ، يوجد تاريخ آخر، يوجد- على الأقل- حياة المؤرّخ. لهذا دعوتُ أمّ جدتي لهذه المحاضرة، لأنني أعرف أن حياتي تؤثر في عملي. بإمكانك اعتبار الروايات جميعها تعويضاً نفسيّاً عن حيوات لم تُعَش؛ فالرواية التاريخية تَنتُج عن نهم في خوض التجارب. فضول عنيف يدفعنا، يأخذنا بعيداً عن زمننا، بعيداً عن شاطئنا، وكثيراً ما يكون خارج نطاق بوصلتنا.

يجعلك السعي وراء الماضي، سواء أكنت روائيّاً أم مؤرخاً، تعي مخاطر لامعصوميتك وتحيُّزك المتأصّل. إن كاتب التاريخ هو أثرٌ يمشي على قدمين، هو شخصٌ مغترب، يستخدم أساليب اليوم ليحاول معرفة أشياء عن الأمس لم يعرفها الأمسُ عن نفسه. يجب عليه أن يحاول العمل متثبّتاً، مستمعاً إلى كلمات الماضي، متواصلاً لكن بلغة يفهمها الحاضر. المؤرّخ وكاتب السير وكاتب الرواياتُ يعملون ضمن حدود مختلفة، لكن على نحو مكمّل، لا متضاد. حرفة الروائي ليست اختلاق الأشياء، فحسب، إطلاقاً.. وحرفة المؤرّخ ليست تكديس الوقائع، ببساطة، إطلاقاً؛ فحتى أكثر الأبحاث جموداً واعتماداً على البيانات، تتضمّن عامل تأويل. إن بحثاً عميقاً داخل الأرشيفات يمكن تأديته في هيئة جداول أو قوائم، بواسطة مؤرخين فيما يخاطب بعضهم بعضاً. لكنهمّ، لمخاطبة جمهورهم، يستخدمون الأدوات نفسها التي يستخدمها الحكّاءون: الانتقاء، والدمج، والتنسيق الخلاق. قال مؤرّخ القرن التاسع عشر، «اللورد ماكولي – Lord Macaulay»: «التاريخ يجب أن ينطبع في المخيلة، قبل أن يمكن تلقّيه بالعقل». إذاً، كيف نعلّم التاريخ؟ هل الأمر عبارة عن مجموعة من القصص، أم مجموعة من المهارات؟ كلاهما، أعتقد. نحتاج أن ننقل القصص، وأن نمنح المهارات- أيضاً- لكي نفسّخ القصص، ونصنع قصصاً جديدة.

لنستعيد التاريخ، نحتاج إلى صرامة، ونزاهة، وإخلاص سخي، ونزوع إلى الشك. لنستعيد الماضي، يُتطلب منّا كل تلك الفضائل، وشيءٌ زيادة. إن أردنا قيمةً إضافية (أن نتخيل ليس، فقط، كيف كان الماضي، بل كيف بدا من الداخل) فإننا نختار رواية. المؤرّخ وكاتب السير يقتفيان آثاراً من أدلة، آثاراً ورقية، عادة. يفعل الروائي هذا، أيضاً، ثم يؤدّي عملاً آخر: يعيد الماضي إلى سيرورته، إلى الحركة، يحرّر الناس من الأرشيف، ويتركهم يهيمون، يجهلون مصائرهم، حيث كلّ أخطائهم لم تقع.

ليس بوسعنا أن ننحّي التنظير جانباً. إنه لمن المستحيل، الآن، كتابة رواية تاريخية ذكية، دون أن تكون رواية تأريخية، رواية تأخذ في الحسبان طريقةَ عمل خاصّة بها. لكنني حاولت أن أجد سبيلاً للتحدث عنَ الماضي دون أن أستعمل، يوميّاً، مصطلحات مثل «التأريخ». لقد أصبحت روائية لأختبر الفضيلة بكلمات، كانت لتتعرف عليها أمّ جدتي، من تلك الرحلة التي قطَعتها من أيرلندا إلى إنجلترا، من مكان أخضر رطب إلى آخر: كلمات مثل: خيط، ونول، ولحمة، وسَداة(7).. كلمات مثل: رَصيف الميناء، وسفينة، وبحر، وحجر، وطريق، وبيت.

المصدر: أذيعت عبر راديو بي بي سي، ونُشرت في الغارديان البريطانية، بتاريخ 3 يونيو 2017.

عن مجلة الدوحة

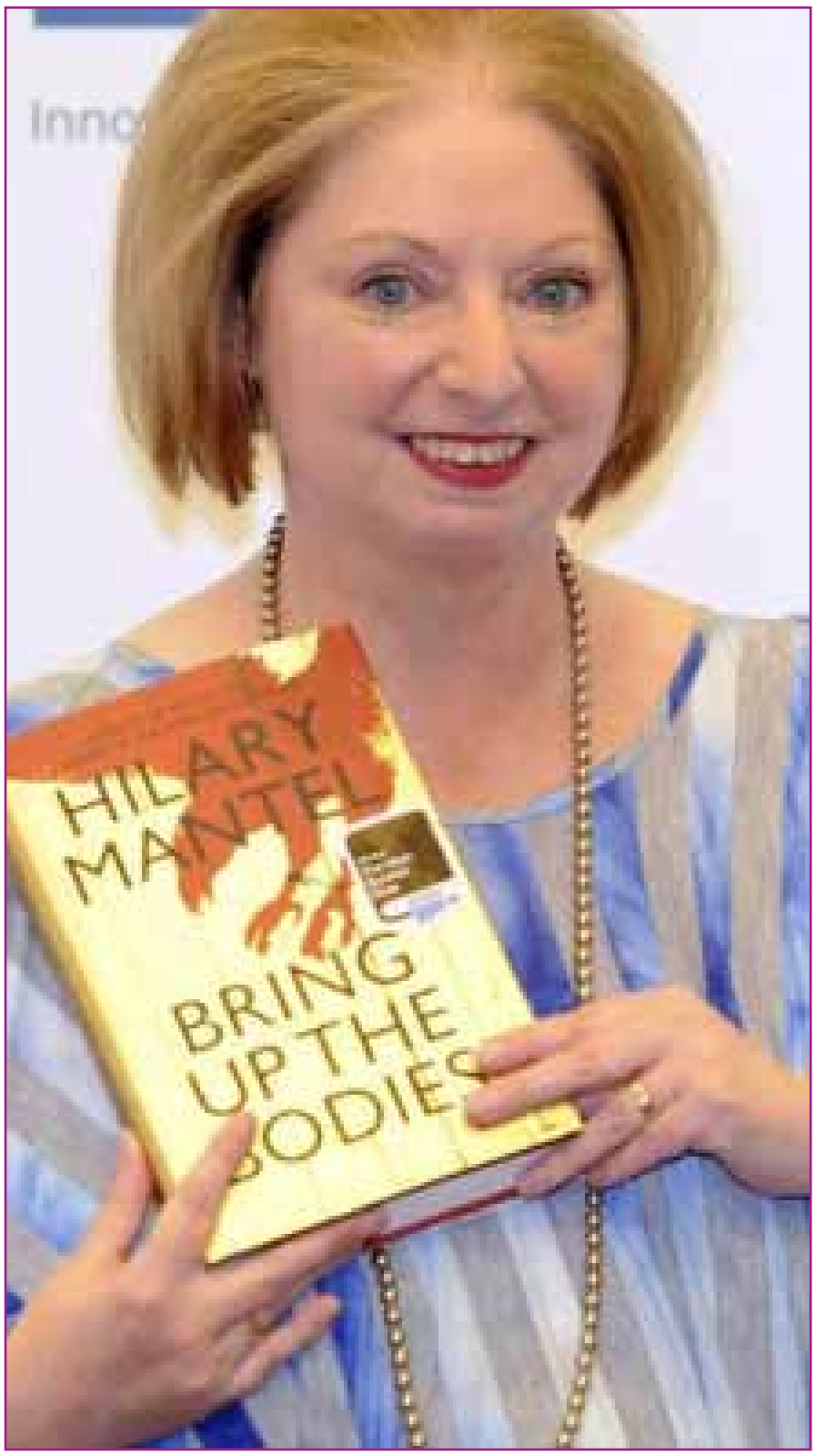

هيلاري مانتل وحياتها المدهشة

بلال فضل

بدلاً من أن تقرأ كتاباً ساذجاً في التنمية الذاتية يبيع لك عدداً من النصائح المعلبة التي ربما لن تنفعك ببصلة، لماذا لا تجرب أن تقرأ هذه السطور التي أحدثك فيها عن الأديبة البريطانية هيلاري مانتل ومشوار حياتها الملهم والمحرض على أن يُحوِّل الإنسان معاناته وقرفه من الحياة، إلى عمل دؤوب يحقق به إنجازاً ربما جعل حياته نموذجاً يحتذى ويثير الإعجاب أو الغبطة أو الحسد، حسب ذوقك وموقفك من الحياة.

إذا كنت لم تسمع من قبل عن إنجازات هيلاري مانتل الأدبية، فيكفي أن تعرف أنها استطاعت أن تكسب جائزة البوكر الأدبية رفيعة الشأن مرتين، الأولى في عام 2009 عن رواية (قصر الذئب Wolf Hall) والثانية في عام 2012 عن رواية (ارفعوا الأجساد Bringing up the bodies) لتكون الكاتبة الأولى التي تحصل على جائزة البوكر مرتين، وتكون أول كاتب يحصل على جائزة البوكر عن الجزء الأول والجزء الثاني من عمل روائي واحد، صدر قبل عام جزءه الثالث (المرآة والضوء)، لتكتمل ثلاثيتها الروائية التي تتناول حياة رجل الدولة الشهير توماس كروميل، الذي شغل منصب المستشار الأول للملك هنري الثامن، وعاصر معه عدداً من الأزمات السياسية والشخصية، على رأسها شعور الملك بأزمة عدم إنجابه لوريث ذكر للعرش، ورغبته في إبطال زواجه من الملكة كاثرين والزواج من آن بولين حتى لو كان ذلك ضد رغبة رجال الدين وعلى رأسهم بابا روما، ومع أن تلك الفترة الحرجة وأبطالها الملتبسين قد صدر عنهم الكثير من الكتب والدراسات والأعمال الفنية والأدبية، إلا أن ذلك لم يحبط من عزيمة هيلاري مانتل وعزمها على كتابة قصة تلك الفترة من جديد، بشكل لم يكن يتوقع الكثيرون أن يحظى بكل تلك الشعبية والجاذبية، منذ بدء نشر الرواية الأولى وحتى الآن.

وبقدر ما كان نجاح الجزئين الأولين من الثلاثية في مبيعات النشر، عاملا مساعدا في الإسراع بتحويلهما إلى مسلسل تلفزيوني وعرض مسرحي مكون من جزئين، بقدر ما تضاعف نجاحهما بعد تلك المشاريع التي دفعت جمهور هيلاري مانتل إلى مشاهدة تلك الأعمال، وجلبت لها ولأعمالها المزيد من القراء في نفس الوقت. كان تحويل الروايتين إلى مسرحيتين هو الأسبق، وقد تبنته فرقة شكسبير الملكية البريطانية الشهيرة، وتم عرض المسرحيتين في لندن بنجاح كبير، لينتقلا في مطلع 2015 إلى نيويورك، ويلقيا نجاحا لا بأس به، برغم أن كل مسرحية يستغرق عرضها حوالي أربع ساعات، تقدم دراما ثقيلة لا تحتوي على مشهيات المسرح المعتادة.

أما المعالجة التلفزيونية والمكونة من ست حلقات مدة كل حلقة ساعة وعدة دقائق، فقد عرضت على قناة البي بي سي الثانية البريطانية، وقناة PBS الأميركية في نفس الوقت، من بطولة الممثل الشهير داميان لويس في دور هنري الثامن، ومارك ريلانس في دور توماس كروميل، وكلير فوي في دور آن بولين.

قبل حصولها على جائزتي البوكر، كان هناك اهتمام نقدي ملحوظ بكتابات هيلاري مانتل التي بلغت ثمانية روايات ومجموعة قصصية وكتاب سيرة ذاتية، وقد بدأ ذلك منذ إصدار روايتها الأولى "كل يوم هو عيد الأم" التي صدرت عام 1985، وقد ساعدها الاهتمام النقدي المتزايد على أن تحصل في عام 1990 على جائزة مقدمة من الجمعية الملكية للأدب، وأخرى من مهرجان شيلتينهام الأدبي عن روايتها "فلاد"، والتي سبقتها روايتان متوسطتا النجاح، من بينهما رواية بعنوان (ثمانية أشهر في شارع غزة)، حكت فيها عن تجربتها في الإقامة في المملكة العربية السعودية، وقد ترجمت الرواية إلى اللغة العربية بعنوان (كوابيس جدة) وصدرت عن دار سطور بترجمة من الدكتورة فاطمة نصر.

استمر بعد ذلك مشوار هيلاري مانتل مع الجوائز، حين حصلت في عام 1992 على جائزة صحيفة صانداي اكسبريس لكتاب العام عن رواية (من أجل مكان أعظم أمانا)، وحصلت في عام 1996 على جائزة هاوثورندن عن روايتها (تجربة في الحب)، وحصلت في عام 2003 على جائزة منظمة مايند الخيرية للصحة العقلية عن كتاب (تسليم الشبح) الذي يروي أجزاء من سيرتها الذاتية، فضلا عن وصولها إلى القائمة القصيرة لجائزة أورانج المخصصة للكتابة النسائية عام 2006 عن رواية (ما وراء الأسوَد)، والتي وصلت أيضا إلى القائمة القصيرة لجائزة كتّاب الكومنولث في نفس العام، لكن انفجار الجوائز الذي أعقب صدور رواية (قصر الذئب) وحصولها على جائزة البوكر، لا زال مستمرا حتى الآن، مترافقا مع تكريمات رسمية وشعبية يضيق المجال عن ذكرها.

بدأت في الكتابة عن الثورة الفرنسية، وإن كانت لم تبدأ في التعامل مع ما كانت تكتبه كرواية، بل ولم تكن تظن أنها ستكتب أيضا، فقد بدأ الأمر بالقراءة المنتظمة عن الثورة الفرنسية.

ربما تصف هيلاري مانتل بأنها كاتبة محظوظة ولدت في فمها ملعقة من ذهب، حين ترى ذلك النجاح الفائق، لكنك ستدرك أن ظنك آثم حين تقرأ سيرة حياتها، وتعرف أنها لم تصل إلى هذا النجاح إلا بعد رحلة طويلة من المعاناة الشخصية والأدبية، بدأت منذ الطفولة حين هجر والدها هنري تومبسون الأسرة، بعد أن طلّق والدتها مارجريت، فلم تعد تراه منذ كان لديها من العمر 11 عاما، لترتبط والدتها بجاك مانتل، الذي حملت هيلاري اسمه رسميا وباختيارها بعد ذلك، لتنتقل الأسرة معه من مسقط رأس هيلاري في مدينة جلوسوب إلى مدينة رومايلي بمقاطعة تشيشاير، وقد جعلتها طفولتها العصيبة تفقد إيمانها الديني في سن الثانية عشرة، وقد انطبعت تلك الطفولة بالتأكيد على علاقتها الزوجية فيما بعد بزوجها الجيولوجي جيرالد ماكوين الذي تزوجته وهما في العشرينات من عمريهما، كان ذلك في عام 1974، وقد عاشت معه في بوتسوانا بدءاً من عام 1977 لمدة خمس سنوات في ظروف صعبة للغاية، ومع أنهما كانا يعيشان حياة فقيرة في بريطانيا، إلا أن مقارنتها بحياتهما في بوتسوانا كانت تجعل تلك الحياة غنية جدا، حيث «لا صحف، لا تلفزيون، لا مظاهر للحياة إلا التي تصنعها بنفسك»، وحيث كان زوجها يعمل مع فريق من الجيولوجيين الذين قاموا برسم خرائط مساحية للبلد لأول مرة.

بعد ذلك عاشا ولمدة أربع سنوات في مدينة جدة السعودية حيث عمل زوجها في شركة تعدين، وقد استلهمت بعضا من تجاربها في السعودية في كتابة الرواية التي نشرت في العالم العربي بعنوان (كوابيس جدة)، بالإضافة إلى مقال طويل نشرته في صحيفة الغارديان بتاريخ 20 فبراير 2010، روت فيه كيف أكملت في "شقة تشبه التابوت بسبب حرمانها الدائم من الضوء" كتابة روايتها الأولى، وكيف تلقت في تلك الشقة أيضا رسالة من ناشر لندني يقبل فيه نشر الرواية، وبعد أن انتقلا منه إلى بيت تصفه بأنه "البيت الذي توجد فيه النافذة خلف السرير"، كتبت روايتها الثانية، وقبل أن ينتقل الزوجان إلى بيت رابع، بدأت تحاول كتابة روايتها عن جدة، التي حاولت الاعتماد فيها على مدونات يومية كانت تكتب فيه وقائع حياتها هناك، لكنها لم تستطع إلا بعد أن غادرت جدة التي وصفت مغادرتها لها بأنها كانت "أسعد يوم في حياتها».

عاشت هيلاري مانتل معاناة صعبة للغاية مع مرض نادر أصابها في الرحم، وقد عانت من آلامه منذ بداية العشرينيات، لكنها لم تكتشف حقيقته إلا بالصدفة، حيث بدأت أعراضه بإرهاق شديد وآلام عصبية حادة، جعل الأطباء يشخصونها في البداية كأنيميا حادة، وعندما لم تستجب لأدوية الأنيميا، تم تشخيص المرض بوصفه مرضا نفسيا، وهو ما جعلها تداوم التردد على أطباء الأمراض النفسية والعصبية، وتصبح زبونة مستديمة للعقاقير المضادة للذهان، والتي كانت تسبب لها أعراضا مرهقة جدا، حتى أنها كانت ترى خيالات دائمة بأنها تقوم بقتل الناس بالسكاكين، وكانت تضطر لإخفاء ذلك عن زوجها، وبعد سلسلة طويلة من الآلام والحياة الكابوسية الدائمة، قررت أن تتوقف عن أخذ الأدوية، فتخلصت من الكوابيس الليلية والخيالات النهارية المرهقة، لكنها لم تتخلص من الألم، وبالصدفة وخلال وجودها في بوتسوانا، قررت أن تذهب إلى مكتبة الجامعة في بوتسوانا، لتقرأ الكتب الطبية وتبحث عن تشخيص لحالتها، فوجدت تشخيصا لمرضها يشير إلى إنها ربما كانت تعاني من عيب خلقي يجعل بطانة الرحم لديها مصابة باضطرابات حادة، بحيث تنزف خلايا بطانة الرحم ويتراكم نزيفها داخل منطقة الحوض، فيسبب آلاما رهيبة في الأعصاب.

وحين عادت هيلاري إلى لندن، تأكدت من ذلك التشخيص، وأجرت جراحة أزالت فيها الرحم لتصبح غير قادرة على إنجاب الأطفال، ومع أن ذلك أحزنها إلا أنها كانت ممتنة لتخلصها من الآلام الرهيبة التي كانت تعاني منها، لكن استمرار علاجها بالمنشطات جعلها تتعرض لزيادة كبيرة في الوزن، ويتغير مظهرها العام بشكل كامل، وهو ما سبب لها كثيرا من المضايقات الاجتماعية التي جعلت نفسيتها تتأثر كثيرا، وبرغم أنها لم تكن راغبة في الإنجاب على مدى السبع سنوات التي سبقت إزالتها للرحم، لكنها كانت تأمل أنها ستغير موقفها في يوم من الأيام، وفي ظل ضغوط نفسية شديدة أعقبت كل ما جرى لها من تجارب، انفصلت عن زوجها بعد عودتهما من بتسوانا، وإن كانا قد عاودا الزواج بعد ذلك بعامين، وسافرت معه إلى جدة، وتواصلت حياتهما سويا، وتولى بعد عودته إلى بريطانيا إدارة أعمالها الأدبية.

على عكس المتوقع، لم تكن هيلاري تحلم بأن تكون كاتبة منذ البداية، بعد تخرجها من الجامعة عملت أخصائية اجتماعية في مستشفى للمسنين في ستوكبورت، براتب يبلغ حوالي ألف ومائة جنيه استرليني سنويا، كان مبنى المستشفى الذي تعمل به في السابق مبنى لإصلاحية، وكان بعض المرضى من المسنين الذين تأثرت ذاكرتهم وأصبحوا عرضة لاختلاط الأزمنة، يعتقدون أنهم نزلاء في إصلاحية وليس في مستشفى، في ذكرياتها عن تلك الفترة تقول أنها كانت تحاول هي ومعظم الموظفين فعل شيء من أجل المرضى، لكن نقص الموارد كان يقف أمام تحقيق محاولاتهم لجدوى، وما تحتفظ به ذاكرتها من تلك الأيام، كما قالت لصحيفة (التلجراف) البريطانية هو "خليط من السخط والحزن والشعور بالعجز».

بدأت رحلة هيلاري مانتل مع الكتابة عام 1975، وهي في سن الثالثة والعشرين، والغريب أنه كما بدأت شهرتها ونجاحها مع الرواية التاريخية، فقد بدأت أحلامها في الكتابة مع التاريخ أيضا، حيث بدأت في الكتابة عن الثورة الفرنسية، وإن كانت لم تبدأ في التعامل مع ما كانت تكتبه كرواية، بل ولم تكن تظن أنها ستكتب أيضا، فقد بدأ الأمر بالقراءة المنتظمة عن الثورة الفرنسية، للهروب من الشعور بالملل من عملها كبائعة للفساتين في متجر للألبسة، كان قد طفح بها الكيل من عملها في المستشفى ثم من عملها كبائعة للفساتين، ولأنه لم يكن لديها مال لكي تنهي تدريبا قانونيا يؤهلها للعمل في المحاماة، قررت أن تدفن همها في القراءة، ولأنها كانت تفكر في دراسة التاريخ عندما كانت طالبة جامعية، فقد بدأت في استعارة كتب عن الثورة الفرنسية من المكتبة العامة، ومع توالي الكتب واحدا تلو الآخر، بدأت تدون العديد من الملاحظات، وبعد أن قامت بذلك لفترة طويلة، سألت نفسها: ماذا أفعل، وجاء الجواب: أنا أكتب كتابا.

وكما تقول هيلاري للصحفية لاريسّا ماكفاركهر التي نشرت عنها "بورتريه" شديد الجمال في مجلة (النيويوركر) الشهيرة، بتاريخ 12 أكتوبر 2012، فقد لاحظت أن زميلاتها الجامعيات اللواتي درسن الأدب والفنون، انتهى بهن الحال كمدرسات، وبرغم أنها تعرف أن العالم يحتاج إلى مدرسات جيدات، إلا أن دائرة تحول الفتيات الذكيات إلى مدرسات لإنتاج المزيد من الفتيات الذكيات اللواتي يعملن كمدرسات، بدت لها محبطة بعض الشيء، وكانت حين تسمع الناس يقولون أن التدريس مهنة يمكن الاعتماد عليها، تعتبر أن ذلك يعني أنه "عندما يهجرك زوجك يمكن أن تنفقي على نفسك من مرتبك كمدرسة". لم يبد لها ذلك محرضا أو ملهما، ولأنها لم تكن دارسة للتاريخ ولا لطريقة كتابته، تصورت أنها حين تكتب كتابا تاريخيا، لا بد أن يكون في قالب روائي، ولأنها لا تعرف كيف تكتب الرواية، فقد شعرت وهي تكتب بالحزن، لأنها لا تملك سوى أن تعتمد على نفسها في كتابة ما تفكر به، بعيداً عن أية قواعد أو محددات أو إرشادات، وقد كان ذلك في الحقيقة ما أوصلها إلى طريق المجد دون أن تدري.

عن العربي الجديد

ثلاثية البريطانية هيلاري مانتل تكشف أسرار هنري الثامن

لنا عبد الرحمن

لعل أول ما يلفت النظر في صور الكاتبة هيلاري مانتل، التي رحلت أول من أمس عن عالمنا، لون عينيها الحادتي الزرقة. عينان نفاذتان تكشفان عن موهبة فطرية لسرد القصص، والنبش عنها في قلب تاريخ عتيق ومعتم.

غادرت مانتل هذا العالم بهدوء، بلا صخب، تماماً كما عاشت حياتها مكتفية بالكتابة ومبتعدة عن الوسط الثقافي البريطاني. كتبت أعمالها الأولى من ذاكرة معيشة حول زمن قريب عرفته، لكنها حققت بصمتها الإبداعية عبر الارتحال نحو القرون الوسطى. تتبعت أشباح الماضي البعيد وأعادت بناء حقبة اتسمت بالتعصب الديني والإنسانية الناشئة، ثم كتبت بجرأة من يريد المعرفة والمواجهة والإدانة والفوز.

ولدت مانتل عام 1952، وبدأت حياتها الإبداعية في الثالثة والثلاثين من عمرها مع رواية "كل يوم هو عيد الأم"، استوحتها جزئياً من تجاربها الخاصة كمتطوعة للعمل الاجتماعي في مستشفى للمسنين. تنتمي الرواية إلى عالم الكوميديا السوداء، وتدور أحداثها في منتصف السبعينيات مع الأرملة إيفلين التي تكتشف أن ابنتها المعوقة عقلياً حامل، ويكون عليها التعامل مع هذا الحدث الجلل.

كتبت مانتل خلال رحلتها الإبداعية الطويلة نسبياً، المقالة والقصة وعديداً من الروايات، لكنها حازت شهرتها الكبيرة من الثلاثية التي دونت فيها سيرة توماس كرومويل، مستشار الملك هنري الثامن، الذي تفصلها عنه زمنياً قرون عدة، فقد بيعت ملايين النسخ من هذه الثلاثية، التي أخذت من الكاتبة خمسة عشر عاماً لتتمكن من إكمالها.

الجائزة وقوة الشغف

هل يمكن القول إن ثمة علاقة بين فوز مانتل بجائزة مان بوكر مرتين وقوة شغفها بالاقتراب إبداعيا من حياة السير توماس كرومويل؟ فالفوز مرتين في عام 2009 عن الجزء الأول من الثلاثية «قصر الذئاب»، ثم في عام 2012 عن «أخرجوا الجثث» سابقة من نوعها بالنسبة إلى كاتبة.

يمكن العثور على الجواب عند مانتل التي اعترفت أنها لطالما صادقت الأرواح منذ طفولتها، ولا ريب أن تكون روح السيد كرومويل من ضمن إحدى الأرواح الهائمة التي رافقت الكاتبة وألهمتها بالثلاثية الشهيرة، التي نشرت آخر جزء منها عام 2020 تحت عنوان "المرآة والضوء».

في مذكراتها "التخلي عن الشبح" تستعين مانتل بمقولة القديس أوغسطين حين يقول "إن الموتى غير مرئيين لكن هذا لا يعني أنهم غائبون". اعتبرت مانتل أن رواياتها التاريخية منجزات هائلة، ويرجع ذلك جزئياً إلى أنها تعيش في الأفكار والتجربة الروحية والحسية لشخصياتها بشكل كامل، كما لو كانت بلا جسد. في كتابتها للثلاثية تسللت إلى ذهن توماس كرومويل وجذبت القارئ معها، ثم استبقته كما لو أنه طيف خفي تحمله على كتفيها، كي يرى من خلال عينيها ما عاشه السير كرومويل.

اختارت مارتل الكتابة عن مرحلة شائكة من التاريخ الإنجليزي عام 1520، حيث ذروة الصراع بين الملك والكنيسة. إنها الحقبة التي عاش فيها الملك هنري الثامن، وشاع عنه سوء الطباع والتهور في اختياراته وحبه للنساء واضطراب حياته الشخصية وقراراته السياسية.

تأخذ الروائية قارئها في ملحمة تاريخية طويلة إلى قلب مجتمع أوروبي في حال اضطراب كامل، لتدمج بين التاريخ والسياسة والعواطف والمصائر الفردية والمؤامرات المختلفة والصداقات الزائفة والتواطؤ والوعود وصعود بعض الشخصيات إلى مناصب رفيعة وانحسار آخرين لأسباب لا طائل منها. الملك هنري الثامن يحتاج إلى وريث لعرشه، إذ في حال موته بلا وريث فسيكون مصير البلاد اندلاع حرب أهلية. هو متزوج منذ عشرين عاماً من كاثرين آراغون، لكنه وقع في غرام آن بولين، ويريد الحصول على الطلاق من أجل الزواج منها. في وسط هذه الأزمة يظهر توماس كرومويل (1485–1540) الذي سيغير تاريخ إنجلترا إلى الأبد.

في الجزء الأول من الرواية نكتشف الصعود الاجتماعي لكرومويل، إنه شاب طموح، انتهازي، سياسي بارع ومتلاعب. أتى من طبقة اجتماعية دنيا لكنه يتمكن من الصعود إلى أعلى وظائف المملكة، بل وتكوين صداقة وثيقة مع الملك هنري ومساعدته على التخلص من معارضيه، من أجل تطليق زوجته الشرعية كاثرين والزواج من خليلته آن بولين.

من المعروف أن قصة هنري الثامن مع آن بولين تم استلهامها في أكثر من عمل سينمائي ودرامي، وقد تمت الاستعانة برواية مانتل "قصر الذئاب"، بسبب احتشادها بالتفاصيل التاريخية الدقيقة التي لم يأت ذكرها في أي عمل إبداعي آخر. والجدير ذكره أن الرواية التي تم تعريبها بقلم زينة إدريس، وصدرت عن "الدار العربية للعلوم، بيروت" تبلغ 324 صفحة، مكتوبة بصوت الراوي العليم، وتطول فيها الحوارات لعدة صفحات، يتداخل فيها الوصف والسرد والحوار، مما يسبغ على أسلوب الكاتبة صفة السرد الكلاسيكي. وهذا لا يعود فقط إلى طبيعة الموضوع التاريخي، بل إلى تجنب مارتل التكلم بضمير الأنا عن شخصية كرومويل، على رغم انحيازها الظاهر له، وإعجابها بشخصيته. إلا أن لغة السرد محايدة في هذا الجزء على رغم السرعة في الأحداث وتوترها، وقدرة الكاتبة على الغوص في أفكار توماس كرومويل المعقدة والمضطربة. يتضح أيضا في سرد مانتل تأثرها بالأساطير الإغريقية وتضمين الرواية بعضاً منها، للدلالة على الفكرة الرئيسة التي تريد تناولها، لنقرأ "كيفما نظرت إلى القصة ترى أن كل شيء بدأ بالقتل، حكم بروتوس الطروادي وسلالته حتى مجيء الرومان، وقبل أن تسمى لندن مدينة لود، كانت تدعى طروادة الجديدة، وكنا طرواديين. يقول البعض إن آل تيودور يتجاوزون هذا التاريخ الدموي والشيطاني، وينحدرون من بروتوس، عبر سلالة

قسطنطين ابن سانت إيلينا».

«الاسم الذي اختاروه لنا مهم، ولكن الأكثر أهمية ذاك الاسم الذي نصنعه لأنفسنا. أولئك الذين فقدوا أسماءهم يرقدون قتلى في ساحة المعركة، مجرد جثث بلا هوية ولا نسب، لا أحد يبحث عنها، تظل بلا ترانيم أو صلوات لها».

في الجزء الثاني من الثلاثية «أخرجوا الجثث» تنقل مارتل القارئ إلى داخل بلاط هنري الثامن، ونراه من خلال عيون مستشاره الأقرب توماس كرومويل. تواصل الكاتبة تتبع حياته، وكيف أصبح الذراع اليمنى للملك. تبدأ الرواية بدلالات رمزية مع صور للحيوانات: صقور توماس التي سماها على أسماء بناته المتوفيات. توماس يقيم مع الملك خلال الصيف والخريف في قصر الذئاب، لتجنب الأمراض التي تظهر في لندن خلال الأشهر الأكثر دفئاً. ولا تزال أزمة الملك مستمرة في عجزه عن الحصول على وريث بعد سبع سنوات من الزواج من آن بولين، كما أنه غير سعيد وغير راض. لم تنجب آن بعد وريثاً ذكراً، والملك أصبح يجدها شخصية مثيرة للجدل ومرهقة بسبب عصبيتها وانفعالها. أصبحت الروح الحادة والاستقلالية التي جذبته إليها في البداية السبب لسقوطها في عينيه. لذا يقرر هنري الثامن التنصل من زوجته الثانية ويناشد توماس كرومويل بتنظيم محاكمة لها للتخلص منها بتهمة الخيانة وزنى المحارم.

رحلة السقوط

سجلت مارتيل في الجزء الثالث من الثلاثية «المرآة والضوء» رحلة سقوط توماس كرومويل، التي تغطي السنوات الأربع الأخيرة من حياته، من عام 1536 حتى وفاته بالإعدام عام 1540، ومثل سائر أجزاء الثلاثية حقق هذا الجزء نجاحاً كبيراً، وتم تصنيفه ضمن أفضل 13 كتاباً صدر عام 2020، ونالت عنه الكاتبة جائزة والتر سكوت للأدب التاريخي، على رغم النقد الذي وجه لهذا الجزء بأنه لا يوجد فيه صراع مركزي بخلاف الجزأين السابقين، إذ تم إعدام آن بولين وعشاقها المفترضين، وأصبح هنري الثامن أرملا يستعد للزواج من عشيقته الجديدة جين سيمور. وسط حياة الملك المضطربة تبدأ الوساوس حول توماس كرومويل الذي ساعد الملك في تحقيق مآربه، ثم تتشابك الأحداث وتدور الدوائر على كرومويل ويأفل نجمه حتى ينطفئ.

تميز هذا الجزء أسلوبيا باعتماد الكاتبة على تيار الوعي والكشف أكثر عن العالم الداخلي للأبطال، بخاصة مع بطلها المفضل كرومويل الذي تستعين بأكثر من أسلوب سردي للكشف عن رؤيته للحياة، واقعيته واضطرابه، والأهم إحساسه بالندم. عطفاً على إضاءة تفاصيل إنسانية في شخصيته بدت أكثر وضوحاً مع الجزء الأخير، مع تساؤلاته حول القصاص والعدالة والموت.

لم يجعل موت آن بولين موقعه أكثر أمانا، بل على العكس تسبب في نهايته. الرواية مليئة بالمفارقات الدرامية على لسان الأبطال، كأن يقول السفير الإمبراطوري تشابوي لكرومويل "في اللحظات الحرجة سيقال إنك ابن الحداد. وتعتمد حياتك كلها على النبض التالي لقلب هنري، ومستقبلك على ابتسامته أو عبوسه».

وفي مشهد آخر عندما أصيب الملك وظن الجميع أنه ميت كانت غريزة كرومويل تقوده للفرار، لكنه الشخص الوحيد الذي يجرؤ على وضع يديه على الملك وإعادته إلى الحياة، لحظتها يزعم خادمه الفرنسي كريستوف أنه أمسك بالملك وصاح في وجهه «تنفس، أيها اللعين، تنفس!». تحفل الرواية بعديد من هذه الأمثلة التي تعتمد على المفارقة النفسية في مقاربة الأحداث.

لعل المتأمل في ثلاثية مانتل سيتوقف عند شغفها بإماطة اللثام عن الماضي، الاقتراب منه والتمعن به في الظلام وتحت ضوء الشمس على حد سواء، لتتمكن من رؤية أدق التفاصيل التي تغيب عادة عن رؤية الآخرين.

عن الاندبندنت عربية

هيلاري مانتل رأت الشيطان فكتبت ذئب الصالة

كرم نعمة

جائزة بوكر هذا العام لامرأة، لكنها ليست أية امرأة! هيلاري مانتل رأت الشيطان عندما كان عمرها سبع سنوات، نعم رأته كيف يصارع الريح ويتوجه بمحاذاة منزل اسرتها، وترددت عشرين عاما قبل ان تكتب روايتها "ذئب الصالة" لتنال بها المجد الادبي في منتصف عمرها الافتراضي والادبي.

ويمكن وصف مظهرها في قاعة استقبال لجنة ارفع الجوائز البريطانية الادبية قبل ليلة من حفل التتويج الذي أغدق عليها بالمال "ليس فقط ثمن الجائزة 80 الف دولار امريكي، بل بما ستدر عليها مبيعات الكتاب من اموال وشهرة مقبلة».

وصف مظهرها اشبه بامرأة قادمة من تاريخ الألوان والعطر، تجلس مع زوجها الجيولوجي جيرالد، تحتفظ بفرحها للساعات المقبلة.

انها سعيدة بطريقة جعلتها تطير، هكذا وصفت الفوز بجائزة بوكر مثل تصادم قطارين، فيما هي تحلق جذلى في الهواء!

وتتناول رواية "ذئب الصالة" عبر 650 صفحة من القطع الكبير، ما يشبه السيرة التاريخية المفعمة بالعذاب والتعذيب والدسائس والاهانات السياسية والدبلوماسية البدائية في حياة السياسي الانجليزي توماس كرومويل.

تبدأ الرواية بكرومويل كضحية لوالده العنيف ثم تسرد قصته عندما يتولى خدمة الكردينال ولسي، ويتقلد مناصب مختلفة حتى يصبح أبرز مساعدي الملك هنري الثامن، ويساعد الملك في محاولاته للانفصال عن البابوية في روما. كما يسعى لتنفيذ اجندته الخاصة ضد ارادة ملكة.

وتصف الرواية كرومويل الذي هرب من اسرته عندما كان عمره 15 عاماً، لكنه في الوقت نفسه لايعرف تاريخ ميلاده، بطريقة استالينية فاسدة كشخص عديم الرحمة، ومناور، وطموح في حياته السياسية العامة كما هو في حياته الخاصة.

يصل كرومويل إلى انكلترا في عمر الاربعين رجل موثوق به، حياته تشكلت من حزمة من الخبرات في فرنسا وايطاليا وهولندا، تسرد هيلاري كل ذلك بطريقة (فلاش باك) هنا وهناك لنتعرف عليه: كان جنديا، وهو تاجر ومحاسب لبنك فلورنسا، تعلم كيف يقدر ثمن اللوحات الايطالية، يتقن العديد من اللغات، ذكي ومقاتل على نحو لاعب سيرك، لكن النهوض الذاتي ليس الدافع الوحيد عند كرومويل. يشمئز من الخرافات التي يواجهها، ويأخذ وجهة نظر مادية بالانغماس في الحياة. يتصرف بعقلية الإقطاعي من النبلاء، في الوقت الذي يسخر فيه من أصله المتواضع.

كل ذلك دفع الصحفي جيمس نوتي رئيس لجنة تحكيم جائزة بوكر إلى القول "اختيرت رواية مانتل استنادا إلى عظمة الكتاب في حد ذاته وجرأة السرد... إنها رواية حديثة لكن أحداثها تدور في القرن السادس عشر».

واضاف رئيس اللجنة ان قرار اختيار مانتل لم يأت بالاجماع، وإن كان الجميع راضين عنه الآن.

وقال ايون تريويين المدير الأدبي لجوائز بوكر إن رواية "ذئب الصالة" باعت نحو خمسين ألف نسخة في بريطانيا بحلول نهاية ايلول (سبتمبر) 2009 بعد اشهر من صدورها، وهو عدد مرتفع للنسخة المجلدة بغلاف سميك التي تكون عادة غالية الثمن.

وتعد جائزة بوكر احدى اعرق الجوائز الادبية في العالم، تكافئ سنويا منذ عام 1969عملا كتابياً تخيلياً لمؤلف من دول الكومونولث او جمهورية ايرلندا.

وتنافس على الجائزة هذا العام نخبة من الادباء.

ووصل إلى القائمة النهائية الروائي الجنوب افريقي جيمس ماكسويل كوتزي من خلال كتاب "وقت الصيف" وكان اول روائي يتنافس للفوز بالجائزة للمرة الثالثة، والروائية البريطانية انتونيا سوزان بيات بكتابها "كتاب الاطفال».

ورواية "المتاهة المتسارعة" للكاتب البريطاني ادام بولدز الذي يعتبر اصغر المرشحين للفوز بالجائزة (34 عاما).

سنوات في جدة

ولدت هيلاري مانتل في ديربيشير الانجليزية في السادس من تموز/ يوليو عام 1952، ودرست القانون قبل ان تنتقل للعيش مع زوجها في بوتسوانا ثم المملكة العربية السعودية وتحديدا في مدينة جدة، حيث قضت اربع سنوات كتبت فيها تحقيقاً صحفياً مطولا عن الحياة في السعودية ونالت عنه احدى الجوائز المحلية، ثم عادت للعيش في بريطانيا في منتصف عام 1980 من القرن الماضي.

نشرت هيلاري روايتها الأولى بعنوان "كل يوم هو عيد الأم" عام 1985. وحصلت على جائزة "وينفرد هولتبي" عام 1989 عن روايتها "فلود"، واختارت صحيفة صنداي اكسبرس روايتها "مكان أكثر أمنا" ككتاب العام 1993، وفي السنة التي تلتها فازت روايتها "تجربة في الحب" بجائزة هوثورندن.

ترى هيلاري ان جائزة بوكر لم تفقد جودتها الادبية وتسقط في المراهنات غير الادبية، "لم أكن متأكدة من الفوز، لكنني لا يمكن ان افرط بسعادتي به، كان ذهني منطقياً قبل اعلان النتائج، فثمة خاسر وفائز، وكنت أتقبل الأمرين، من دون أن أفرط بفرحي بالفوز، أما مشاعر الخسارة فهي أضحت أمراً غيبياً لا يمكن وصفه بعد ان فزت! لكن في النهاية الجائزة لن تغير حياتي المهنية».

تعتقد هيلاري ان من فاز بالجائزة هو الملك هنري الثامن، وليس كرومويل السيء!

وتعود هيلاري بذاكرتها إلى ثلاثين عاما إلى الوراء عندما كتبت روايتها الاولى "كل يوم هو عيد الأم" عن الثورة الفرنسية واعيد طبعها عام 1992، وترى ان ثمة مساحة خافتة في ذهنها عن الجوائز، لكن المعالجة المحتدمة والحميمية في آن واحد لحياة كرومويل جعلت هذه المساحة مضاءة جداً.

لا تؤمن هيلاري مانتل بالحكاية التقليدية عن الاميرة التي تتزوج وتسافر إلى البلاد البعيدة، فكل الانكليز مرضى بداء السفر، لكنها عندما سافرت إلى الشرق اتخذت خطوة بالتحرك إلى الامام على الاقل في ذهنها.

لم تعد مانتل إلى السرد التوراتي الشائع في كتابة "ذئب الصالة" ولم تود ان تكرر الافلام الوثائقية والمسرحيات وكتب السير التاريخية، كانت تبحث في تلابيب الشيخوخة كما كانت تحاور الطفولة، انطلاقا من طفولتها التي لا تنقصها الوحشة وسمات العذاب.

تعرفت هيلاري على القهر داخل اسرتها منذ ان كان عمرها 11 عاما عندما اطاح الاب بالأسرة برمتها، ولم تره بعد ذلك أبدا، حيث أخذت اسم عائلة زوج امها، وعانت بعدها من سوء التشخيص الطبي حول اصابتها بمرض في الرحم "كانت مريضة وغير مريضة في وقت واحد، اي تعذيب هذا؟»

ثم تزوجت جيرالد الجيولوجي الذي اصطحبها إلى بوتسوانا ثم إلى جدة في المملكة العربية السعودية.

عندما عادت إلى انكلترا من السعودية منتصف عام 1980 كان عليها ان تعرف حقيقة مرضها، وهو ما دفع الاطباء إلى اعتبارها امرأة متعجرفة لا تثق بتشخيصهم، لكنها لم تكن تدرك طبيعة مرضها هل ثمة ورم في الرحم، وهل ينمو خارجه، هل ستنجب ام لا؟.

لكن الكتابة كانت حافزا للاستمرار في الحياة "سر المثابرة، كما تقول، هو الاحتفاظ بدفتر ملاحظات في السرير».

أول شيء تفعله هيلاري مانتل عندما تستيقظ هو الكتابة، لكنها احيانا تبقى أياماً من دون ان تكتب، حالتها الصحية السيئة جعلت منها كاتبة، كانت تقاوم المرض بالخيال. لكنها تجيب عن سؤال يتبادر إلى الذهن قبل ان يطلق عليها "بالطبع افضل صحتي على الكتابة».

تفاقمت الاسئلة لدى هيلاري مانتل عن علاقة الاسلام بالغرب عندما قضت سنوات في مدينة جدة السعودية مع زوجها الجيولوجي جيرالد، كان الاحباط لديها يتصاعد مع تطور الاحداث السياسية آنذاك، وكانت تتساءل مع نفسها "من أنا؟". أما الكتاب فكان الضحية في كل هذه الاحداث، كانت تفكر بقلق عما اذا كانت قادرة ان تكتب شيئاً عن السياسة من دون ان تكال إليها الاتهامات.

كتبت عن تجرتها في مدينة جدة رواية "ثمانية أشهر في شارع الغازية" عام 1988، ثم "اتجاه الريح في جدة" وأصدرت "فلود" 1989، "مكان أكثر آمناً" 1992، "مناخ متغير" 1994، "تجربة في الحب"، 1995، "العملاق اوبراين" 1998، "الكتابة المنزلية في اوربا" 2002، "التخلي عن الشبح" 2003، "تعلم الكلام" قصص قصيرة 2003، "بيوند بلاك" 2005.

وتتناول رواية "العملاق اوبراين" قصة تشارلز أوبراين الذي يغادر منزله في ايرلندا لاستثمار أمواله في عمل ثانوي في لندن، فنكتشف علاقة المشاعر بالمكان، الملامح الحسية للضجر والتردد والمجازفة في الاوساط الطبية، انها رواية مكان لا مكان فيه للمال الا بقدر كونه هامشياً. كما تكشف عن اخلاقيات مهنة الطب عندما تتردى. أما "التخلي عن الشبح" فهي اشبه بسيرة ذاتية واقعية مفعمة بالخيال تقود القارئ إلى طفولة الكاتبة المبكرة واستكشاف سنوات المراهقة التي دفعتها إلى الكتابة.

وتعالج موضوع الاصولية الاسلامية في رواية "ثمانية أشهر في شارع الغازية" مستثمرة اقامتها بمدينة جدة.

يبدو ان ايحاء الحرب في العراق يثير التساؤلات غير المباشرة في روي هيلاري مانتل، لكنها لا تود الحديث مباشرة عن العراق، وتكتفي بالتساؤل عما اذا كان احتلال هذا البلد نوع من الغزو التبشيري المسلح؟!

غياب الاب

هيلاري أحد الروائيين الذين استثمروا غياب الاب الفعلي عن حياتهم في الكتابة، لتثير دلالة الهوية في حياة الانسان، وكيف جاء المرض اشبه بنتيجة عن غياب الأب، كانت في بعض الاحيان لا تعرف نفسها بسبب تعاطي العقاقير منذ ان كان عمرها 19 عاماً.

في سنوات دراستها كانت هيلاري غالبا ما تغيب عن المدرسة بسبب المرض، الامر الذي سبب لها نوعا من الصمت استثمرته لاحقا في الكتابة عندما تحول "البكم" إلى كلام على الورق.

كانت بين ثلاثة أشقاء، والدتها تذهب للعمل في مصنع وتطمح لابنتها هيلاري التفوق في الدراسة الجامعية، وعاشت الأم مع اولادها عند مستأجر مع انها لم تحصل على الطلاق بعد غياب الزوج، وتتظاهر انها ما زالت متزوجة. عاشت هيلاري انذاك نوعاً من التهميش في المنزل حتى مغادرة والدها من دون عودة، لكنها عندما تتذكر ذلك لا تحزن أبداً على غيابه، مع انها لم تره مرة أخرى، وتفسر ذلك بنوع الحزن عندما يتعلق بمستوى منخفض من المشاعر الداخلية للمرء، اذ لم تكن هي سبب غياب الاب عن حياتها وحياة اسرتها.

كانت هيلاري اول شخص في العائلة يدخل الجامعة، اضطرت احيانا إلى التسول من اجل اتمام دراستها مثل العديد من فتيات بلادها آنذاك، بعد ان رفض زوج امها ان يتكفل بمصاريف دراستها حتى زواجها. وتقول عن ذلك انها لو لم تتزوج لما استطاعت اكمال دراستها. وفر لها زوجها الجيولوجي فرصة اكتشاف الحياة المريرة في افريقيا أثناء عمله في بوتسوانا البلد الافريقي الذي استقل عن الاحتلال البريطاني عام 1966.

كل ذلك تزامن مع تدهور حالتها الصحية اثر خطأ بتشخيص مرضها في بطانة الرحم، وتعاطيها عقاقير مضادة للاكتئاب.

في بدايتها الادبية قدمت مخطوطة لأحد الناشرين من 350 الف كلمة لكنها رفضت، تقول هيلاري "لم أكن واثقة انه قرأها في الاصل!". لكنني أعدت نشر الرواية عام 1992 ونجحت.

لم تحاول هيلاري مانتل رثاء ذاتها في كل ما تكتب، كونها لم تنجب، وتأمل عندما تكتب مذكراتها ان تكون ساخرة أكثر مما هي مغالية.

على الكاتب التخلص من الخجل عند الكتابة بالتركيز على فعل الحواس، هكذا ترى "عندما يعمل الدماغ لا يهم ان كان الجسم عاطلاً!"، يمكن للكاتب ان يخطط في ذهنه، لكنه بمجر الجلوس إلى لوحة مفاتيح الكمبيوتر يتلاشى الوقت للتفكير لصالح العمل وحده. ويتساءل في نهاية الامر "أواه.. ماذا فعلت؟».

مرضت هيلاري مانتل في غدتها الدرقية وزاد وزنها أكثر مما ينبغي الامر الذي جعلها تفقد ملابسها خلال اسبوع واحد! لكنها لم تفقد الأمل في حياتها، واصبح جسدها كما تصفه أشبه بقطعة أثاث من الدهون "الكاثوليك يرون ان الاسرار المقدسة تأتي من الخارج لتكون نعمة في الداخل».

تنظر إلى جسدها مثل كتاب فكاهي وتضحك، وهي عازمة على رواية ذلك في قصة عن الجسد وتفضلها على كتابة المذكرات.

تقول "سواء كنت كاتبة رواية ام مذكرات، وصلت إلى فهم معين في النهاية، انني ألقي بعض الضوء على خلفيتي وما زال هناك الكثير الذي لا يوصف».

عن جريدة العرب

هيلاري مانتل.. المولعة بالدعاية الذاتية ومشاكسة المحافظين!

ترجمة: عبد الخالق علي

تُعدّ هيلاري مانتل الروائية البريطانية الأفضل مبيعاً التي تتمتع أعمالها ـ و معظمها قصص أو روايات تاريخية ذات تناغمات سياسية معاصرة ـ بالانتشار في بريطانيا حيث تمتلك الكاتبة ذات الـ ٦٢ عاماً طريقة ذكية للدعاية الذاتية. ففي السنة الماضية، مثلاً، تسببت في بعض الحساسية حين وصفت في محاضرة لها كيت ميدلتون، دوقة كمبرج، بأنها صنيعة الدقة البالغة أو بأنها كالآلة، أو المانيكان... إلخ.

و الآن تعاود طريقتها الانتقادية الاستفزازية هذه، حيث سيلاحظ قراء النيويورك تايمس ظهور قصة قصيرة لها بعنوان " اغتيال مارغريت تاتشر "، من مجموعتها القصصية القادمة. وحبكتها بسيطة و تفسر نفسها بنفسها: ففي عام 1983، كان اثنان من المعارف اللندنيين يناقشان إمكانية ــ و في الحقيقة، مرغوبية ـ إطلاق النار على مارغريت ثاتشر، التي يمكن رؤيتها من نافذة الراوي. و قد شرحت السيدة هيلاري أنها نفسها رأت السيدة ثاتشر مرةً من نافذتها خلال حرب الفوكلاند، و خطرت لها أفكار مماثلة. و بالتأكيد فإن تعليق الراوي المطوّل على ثاتشر ــ بشكل أقرب للمقال من الأدب المتخيَّل ــ يمكن أن يؤخذ على أنه صوت هيلاري مانتل نفسها.

و قد أحدث ذلك كله، بالطبع، رد فعل أكثر غرابةً حتى من تعليقاتها السامة على كيت ميدلتون. فمثل الفراشات المجذوبة لشعلة ضوء، في الواقع، ذهب أعضاء معينون من المحافظين في البرلمان بعيداً جداً إلى حد الإشارة إلى أن القانون قد يصبح طرفاً في القضية، نظراً لكون إضفاء صفة الرومانسية على اغتيال مسؤولين عامين يمكن أن يوحي لقتلة محتملين بفعل ذلك. غير أن قصة مانتل خيالية، في ظاهرها، و الناس، في عالمنا عبر الأطلسي، لا تلاحقهم الشرطة لأفكارهم، بصرف النظر عن مدى عدم ملاءمتها. فحرية الفكر، كما أعلن جستس هولمز ذات يوم، تتضمن " الحرية للفكر الذي نبغضه. « و هناك في سجل القصاصات Scrapbook ملاحظتان حول هذا، و سؤال واحد. أولاً، إن رد الفعل الساخط لأصدقاء مارغريت ثاتشر و المعجبين بها على قصة مانتل جعل مطبوعات مثل صحيفة الغارديان ـ التي يُسرها في العادة إسكات الرأي غير الشعبي ـ تسلك الطريق العالي على مسألة الكلام. فإنه لأمرٌ أكثر من مزعج أن يحاضر في الترخيص الفني و حرية الضمير أشخاصٌ يؤمنون بأن الكلام " المؤذي " أو التخيّل " البغيض " أو الأفكار " العدوانية " ينبغي أن تُقمع.

ثانياً، إن قصة مانتل أحيت لدينا مجدداً ذكرى رواية عام 2004 المنسية الآن للكاتب الأميركي نيكولسون بيكر، (نقطة تفتيش Checkpoint)، التي تنطوي على حبكة مماثلة. ففيها يلتقي اثنان من المعارف أيضاً في غرفة فندق بواشنطن و يناقشان إمكانية اغتيال جورج بوش ـ " لصالح الجنس البشري " . و تتّسم النهاية في رواية بيكر، كما هي في قصة مانتل، بالغموض على نحو مناسب: فمن الممكن أن تكون ثاتشر قد قُتلت، و يمكن أن يكون بوش قد قُتل؛ لكننا لا نعرف ذلك بشكل مؤكد. و كما هي الحال مع هيلاري مانتل، فإن ما نعرفه عن نيكولسون بيكر يوحي بأن مزيج الخيال و الواقع ــ رأي المؤلف و وجهة النظر القصصية ــ أمر مدروس ونابع من القلب.

و هو ما يؤدي إلى سؤال واحد: ماذا هناك في ما يتعلق بالغضب العاجز لدى اليسار الثقافي؟ فغالباً ما يقال إنه في الوقت الذي يرى فيه المحافظون أن الليبراليين مضلّلون، يعتقد الليبراليون بأن المحافظين أشرار. و بالتأكيد فإن الرؤى المحمومة ـ أحلام العنف الإجرامي ـ لدى نيكولسون بيكر و هيلاري مانتل توحي بأن " الغضب " هو التعبير المناسب هنا. و على أصحابنا في اليسار أن يفكروا ملياً برد فعلهم إذا ما قُلبت الطاولات، و يتناولوا حبّة فاليوم!

عن: The weekly Standard

manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

توماس كروميل يصرع خمسة من أجل بوكر !

أحمد فاضل*

بالرغم من إعدامه عام ١٥٤٠ إلا أن مساعد ألملك هنري ألثامن ألسياسي ألبارز (توماس كروميل) قد حقق إنتصارات عظيمة إلا أن نص ه ألأخير كان في (بوكر) حيث فازعلى خمسة من كبار ألكتاب في منافسة شديدة للحصول على هذه ألجائزة ألعالمية.

هيلاري مانتل ألكاتبة ألبريطانية ألمعروفة إستطاعت أن تعيد ألحياة لكروميل كي يحوز لها ألبوكر في روايتها (وولف هول) متفوقة بذلك على أقرب منافسيها بفارق ضئيل في ألمرحلة ألنهائية من إتخاذ ألقرار حيث فازت على جيم كويتزي و سارة وتيرز وأس بيت وسايمون ماوير وآدم فولدز، وكانت صحيفة (ألغارديان) ألندنية واسعة الإنتشار قد توقعت قبل أيام من إعلان ألنتيجة بفوز هيلاري مانتل في إستبيان واسع شمل جميع ألمتنافسين على ألجائزة.

تناولت رواية (وولف هول) حياة ألسياسي الإنكليزي توماس كروميل ألذي قالت عنه مانتل ألبالغة من ألعمر 57 عاما أنها ترددت لفترة طويلة بلغت 20 سنة في واقع ألأمر لتأليف هذه ألرواية، من جانبه قال ألمذيع جيمس نوتي رئيس لجنة ألتحكيم ألمكونة من خمسة أعضاء: (أن مانتل أختيرت إستنادا إلى عظمة ألكتاب في حد ذاته وجرأة ألسرد و الطريقة غير ألمعتادة ألتي ألفت بها هيلاري مانتل ما قاله أحد أعضاء هيئة ألتحكيم أنها رواية حديثة لكن أحداثها تدور في ألقرن ألسادس عشر).

وحصلت مانتل على شيك بقيمة 50 ألف جنيه إسترليني أي ما يعادل 80 ألف دولار، ويمكن أن تتوقع إرتفاعا حادا في مبيعات روايتها بعد حملة دعائية خلال ألأيام ألمقبلة، وكالة رويترز تحدثت من جانبها عن مبيعات روايتها قبل ألفوز حين قال أيون تريوين ألمدير ألأدبي لجوائز بوكر أن رواية (وولف هول) باعت نحو 50 ألف نسخة في بريطانيا بحلول نهاية سبتمبر / أيلول وهو عدد مرتفع للنسخة ذات ألغلاف ألصلب ألتي تكون أغلى ثمنا، وقد أشاد ألنقاد بالرواية ألتي تبدأ بكروميل كضحية لوالده ألعنيف ثم تسرد قصته عندما يتولى خدمة ألكردينال وولسي، ويتقلد مناصب مختلفة حتى يصبح أبرز مساعدي ألملك هنري ألثامن ويساعده في محاولات الإنفصال عن ألبابوية في روما، وتعتزم مانتل نشر جزء آخر يتحدث عن كروميل حتى إعدامه عام 1540.

ولدت ألكاتبة ألروائية مانتل في جلوسوب بإنكلترا في 6 يوليو / تموز 1952 ودرست ألقانون في كلية لندن وجامعة شيفيلد وتخرجت مع شهادة ألبكالوريوس في ألفقه ألقانوني عام 1973 وبعد تخرجها عملت كباحثة إجتماعية للمجتمعات الإنجيلية حتى عام 1975، إتجهت لتدريس الإنكليزية بعد ذلك في بوتسوانا حتى ألعام 1980.

مانتل في روزنامة حياتها تتذكر سنة سيئة حيث أصيبت عام 1979 بإضطراب هورموني تركها غير قادرة على الإنجاب وقد تناولت ذلك في رواية (مذكرات ألتخلي عن ألأشباح)، ونشرت كذلك (كل يوم هو عيد ألأم) وهو ألعمل ألمستوحى من تلك ألمإساة ألتي عاشتها وكذلك من تجربتها كباحثة إجتماعية عام 1985.

عشقت مانتل ألنقد ألسينمائي فعملت كناقدة سينمائية في مجلتيّ ألناقد ألسينمائي والمشاهد من عام 1987 وحتى ألعام 1991، وفي عام 2006 حصلت على أول جائزة لها على مستوى قائد وسام ألأمبراطورية ألبريطانية وبعد ألأعلان عن فوزها ببوكر قالت: (أستطيع أن أقول لكم في هذه ألللحظة أنا سعيدة وأكاد أطير في ألهواء).

في مقابلة لها مع صحيفة ألغارديان ألندنية بتاريخ 12 سبتمبر / أيلول قالت في ردها على سؤال عن دوافعها للكتابة قالت: (أنا أركض فالكثير من ألوقت يحتاجني وأنا أعتمد على طاقتي ألعقلية وبلدي هو ألوقود ألبديل لجسدي لكنه يصرخ بي إذهبي، إذهبي، إذهبي للراحة وأنا لديّ ألكثير من ألأفكار لتحقيقها ولم أستنفذ بعد كل طاقتي).وفي نصيحة للكتاب ألطامحين عبر صحيفة نيويورك تايمز في 25 إبريل / نيسان قالت: (يجب على هؤلاء ألكُتاب أن يتوقفوا عن تناولهم لموضوعة ألسحر في كتاباتهم للتخلص من عبث ألتشبيهات ألتي باتت تعلق بالروايات والتي كثرت معالجتها لأكلي لحوم ألبشر ومصاصي ألدماء).

كان توماس كروميل حاضرا بشبحه يترقب ما ستؤول له عملية ألتصويت ألتي كانت ودية ومفعمة بالحيوية ولم يكن هنالك دماء على ألسجادة ألتي إفترشت قاعة ألتصويت، وقد إفترقنا أصدقاء يقول أحد أعضاء ألللجنة وعندما إجتمعنا ثانية هذا ألصباح لم يكن أحد منا ليعلم من هو ألفائز وأضاف: (أعتقد أننا جميعا شعرنا بأن ألوقت قد إستنفد في نهاية ألعملية لكن كان هناك شعور حقيقي بأننا قد وجدنا ألكتاب ألذي يستحق ألجائزة). وهكذا فقز كروميل فرحا بعد سماعه بفوزه منتصرا على خمسة من كبار ألكتاب وهو ألآن في أيدي مانتل لتكملة جزئها ألثاني من ألرواية و ربما قد تفوز بجائزة أخرى.

× مترجم راحل

سبق لهذه المادة ان نشرت في صحيفة المدى